بـسـم الله الـرحمـن الـرحـيـم :

دور الوقف في نشر العلم خلال التواجد العثماني في الجزائر

د. زكية منزل غرابة

كان الوقف ولا يزال من بين أهم المصادر التي تساهم بشكل فعال في تنمية المجتمع في مختلف جوانب الحياة ،ومظهرا من مظاهر تجسيد قيم التكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع الواحد،و قد مارس الوقف في كل ذلك دورا بالغ الأهمية في تمويل متطلبات الأمة ، وسد حوائجها الأساسي ة،ودعم المشاريع الخيرية بمختلف صورها.

و تؤكد الأدبيات التاريخية التي كتبت في هذا الشأن أنه لم يخل مجتمع من المجتمعات عبر التاريخ الإسلامي من مؤسسة وقفية تابعة للدولة أو مساهمات شخصية من أفراد المجتمع و التي ساهمت بشكل فعال في رسم صورة ناصعة للتكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع، و التي أبرزت ملامح روح المحبة للغير التي سادت بين أبناء المجتمع المسلم الواحد أو حتى على مستوى أبناء المجتمع و غيرهم من إخوانهم في المجتمعات الإسلامية الأخرى.

و قد عرف الوقف تطورا ملموسا خلال العهد العثماني ، و تعتبر الجزائر التي دخلت تحت مظلة الحكم العثماني من بين الدول الإسلامية التي شملها هذا التطور في مجال الوقف و بخاصة خلال القرن التاسع هجري،حيث كان للوقف مساهمات عملية عميقة في نشر العلم في أنحاء القطر الجزائري و ذلك عبر قنوات الوقف التي كانت تخصص لصرف مداخيله في تعليم الناشئة .و تجلى ذلك عبر إنشاء المدارس و المساجد و الزوايا و الكتاتيب و المكتبات بالإضافة إلى مساهمات أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية.

و تستهدف هذه المداخلة محاولة إبراز الدور الحيوي للوقف في عملية نشر العلم خلال فترة التواجد العثماني في الأراضي الجزائرية و ذلك عبر هذه المحاور الآتية:

أولا :أهم المؤسسات الوقفية في الجزائر خلال الحقبة العثمانية .

ثانيا : دور الوقف في نشر العلم في الجزائر خلال الحقبة العثمانية .

أولا :أهم المؤسسات الوقفية في الجزائر خلال الحقبة العثمانية :

يشهد المهتمون بالتأريخ للحقبة العثمانية داخل الجزائر أن الفترة (خاصة الممتد ة من أواخر القرن الخامس عشر الميلادي إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي) قد عرفت انتعاشا و تزايدا كبيرين للوقف ليس فقط على مستوى العاصمة التي تتمركز فيها السلطة العثمانية داخل الجزائر "فحسب سنة 1750م تضاعفت عقود الأوقاف اثني عشر مرة مقارنة بسنة 1600م"[(1)]، وإنما شملت كامل التراب الوطني .و شملت هذه الأوقاف جميع الأملاك المالية أو العقارية ،ومن هذه الإمدادات الوقفية نذكر الأراضي الزراعية و الفنادق و الأفران و البيوت و الحدائق و البساتين وغيرها من الإمدادات التي كانت تغذي مصاريف الوقف و تمنحه الاستمراريةَ في العطاء .

و قد كان الوقف خلال التواجد العثماني في الجزائر ذا صيغة شرعية و قضائية ملزمة يتولى القيام بكتابة إجراءاته قاض في ظل حضور صاحب الوقف و شهود على ذلك ، و ليس هذا فقط بل إن الوقف كان يخضع لنظام داخلي في غاية الدقة "فالوكيل (الناظر)هو الذي المشرف الرئيسي عليه، و هو الذي يسهر على تطبيق ما جاء في الوقفية من شروط و هو المسؤول على تنمية الوقف و استعماله في الأوجه المعنية له .و الباشا (أو الباي في الأقانيم) هو الذي كان يعين الوكيل بناء على مواصفات معينة كالأخلاق الفاضلة و النزاهة و العلم و السمعة الطيبة بين الناس"[(2)].

و في هذا الإطار ظهرت عدة مؤسسات وقفية خيرية تخضع كما سبق الذكر لنظام إداري دقيق،و من أهم المؤسسات التي وجدت خلال التواجد العثماني في الجزائر يمكن أن نشير إلى أهمها و هي :

1- مؤسسة الحرمين الشريفين:

تعد مؤسسة الحرمين الشريفين حسب الكتابات التاريخية من أقدم المؤسسات الوقفية والتي يعود تاريخها إلى ما قبل العهد العثماني . وقد أنشئت هذه المؤسسة لتمكين الجزائريين و غيرهم من وقف ممتلكاتهم لكل من فقراء مكة و المدينة مما جعلها في مقدمة المؤسسات الخيرية من حيث نسبة الأملاك و الأعمال الخيرية التي تقوم بها .

و تدل الإحصائية التالية على أهمية مؤسسة مكة و المدينة في الحياة الاجتماعية فقد ثبت أن هذه المؤسسة كانت تملك في آخر العهد العثماني الأوقاف التالية : 840منزلا ،258 دكانا ،33 مخزنا

[(1)]-مسدور فارس،كمال منصوري،" التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف: التاريخ والحاضر والمستقبل "، عن موقع http://www.google.fr: ،تاريخ الدخول:2011/2/3م.

[(2)]-أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي :ج1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط1 ،1998 م،ص238.

،82 غرفة ،3 حمامات ،11 كوشة ، 4 مقاهي ، فندقا واحدا ، 57 بستانا ،62 ضيعة، 2 أرحية ، 291 إيجار[3] .

و كانت مؤسسة مكة و المدينة تدار من قبل مجلس من أربعة أشخاص و قد تتسع لأعضاء آخرين . و كان على رأس هذا المجلس وكيل يعينه الباشا كما كان لها وكلاء في المدن الجزائرية الأخرى . و كانت مؤسسة مكة و المدينة تدير بعض الأوقاف المحلية سواء كانت مالكية أو حنفية و هي الأوقاف التي يؤول فائضها إلى فقراء المدينتين الشريفتين [4].

وقد كانت تقدم الإعانات لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر أو المارّين بها (بعد التأكد من صحة انتسابهم للأماكن المقدسة)، وتتكفل بإرسال حصة من مداخيلها إلى فقراء الحرمين الشريفين في مطلع كل سنتين عن طريق مبعوث شريف مكة، أو بواسطة أمير ركب الحجاز، كما أوكل إليها مهمة حفظ الأمانات والإنفاق على ثلاثة مساجد حنفية داخل مدينة الجزائر[5].

2-مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم :

وهي من حيث كثرة عددها ووفرة مردودها تحتل الدرجة الثانية بعد أوقاف الحرمين ولعل هذا يعود أساسا إلى الدور الذي كان يلعبه الجامع الأعظم في الحياة الثقافية والاجتماعية الدينية، ولقد كانت أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر تناهز 550 وقفا كانت تشتمل على المنازل والحوانيت والضيعات وغيرها[6].

وقد ذكر في أحد التقارير الفرنسية أن أوقاف الجامع الأعظم كانت تحتوي على:

125 منزلا، 39 حانوتا (دكانا)، 3 أفران، 19 بستانا، 107 إيرادا، وكان يستفيد من مردود أوقافه مجموعة كبيرة من رجال تتألف في أغلب الأحيان من:إمامين، 19 مدرسا،18 مؤذنا،13قيما[7].

---

[3]-أبو القاسم سعد الله،المرجع نفسه،ص238.

[4]-المرجع نفسه .ص238.

[5]-مسدور فارس،"الأوقاف الجزائرية بين الاندثار والاستثمار"، عن موقع :http://www.google.fr

[6]-مسدور فارس،كمال منصوري،مرجع سابق.

مرجع سابق.

[7]-مسدور فارس،المرجع السابق.

ويعود التصرف فيها (مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم) للمفتي المالكي الذي يوكل أمر تسيير شؤونها إلى الوكيل العام الذي يعاضده وكيلان.وكانت تصرف عوائد أوقاف الجامع الأعظم على الأئمة والمدرسين والمؤذنين والقيمين إضافة إلى أعمال الصيانة وسير الخدمات[8].

3- مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية:

أسسها "شعبان خوجة" سنة 1590**م** و هي مؤسسة تتولى الإشراف على تشييد المساجد ومختلف المشاريع الخيرية الأخرى مثل تعبيد الطرقات و إقامة قنوات للري و إعانة المنكوبين و في المجال العلمي تشرف على تشييد المعاهد العلمية و اقتناء الكتب وكل ما يخص شؤون طلبة العلم .

كما كانت تسير أوقاف سبل الخيرات إدارة منظمة تضم أحد عشر عضوا بينهم ثمان مستشارين منتخبين ، و ناظر أو وكيل أوقاف المؤسسة وكاتب ينظم عقود المؤسسة، ويعين الوكيل والكاتب وجميعهم غالبا من بين أهل العلم، ويضاف إليهم شاوش (مستخدم) كان مكلفا بالسهر على أبنية هذه المؤسسة وتسهيل عمل وراحة 08 طلاب - قراء- يقرؤون القرآن بجوار المؤسسة[9].

وأما أملاكها فقد كانت تقدر بثلاثة أرباع الأوقاف العامة ،وقد تم إحصاء 92 حانوتا يعود لمؤسسة سبل الخيرات، ثمانية منها كانت مستغلة من قبل اليهود، وهذه إشارة لسماحة الإسلام وعدالته بين مواطنيه، وغلتها السنوية الإجمالية قدرت بنحو 4455 ريالا،يضاف إلى ذلك أنه كان لمؤسسة سبل الخيرات أربع مخازن ملحقة بالفنادق غلتها السنوية 156 ريال إضافة إلى حمامين غلتها السنوية 165 ريال[10].

4- أوقاف مؤسسة بيت المال:

كانت تشرف و ترعى جميع أموال اليتامى و الغائبين و الأملاك التي تصادرها الدولة و كذلك التركات و كانت أيضا تقوم بأعمال خيرية وإنسانية واجتماعية كدفن فقراء المسلمين و توزيع الصدقات على حوالي مائتي فقير كل يوم خميس ..و بالإضافة إلى ذلك كانت تصون الأملاك الواقعة تحت طائلتها ، كما كانت تدفع شهريا مبالغ مالية معينة إلى خزانة الدولة[11] .كما اهتمت

---

[8]-مسدور فارس،كمال منصوري ،مرجع سابق.

[9]-المرجع نفسه.

[10]-المرجع نفسه.

[11]-أبو القاسم سعد الله،مرجع سابق ، ص242-243.

بشؤون الخراج وحرصت على شراء العتاد، بالإضافة إلى أنها اضطلعت بمهمة إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشييد أماكن العبادة من مساجد وزوايا

وكان يشرف على هذه الهيئة الخيرية موظف سام يعرف ببيت المالجي يساعده قاضي يلقب بالوكيل، ويتولى شؤون التسجيل فيها موثقان يعرفان بالعدول ، ونظرا لأهمية هذه المؤسسة فإن المشرف عليها يتمتع بصلاحيات متزايدة والاستقلال في إدارة شؤون بيت المال[12].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المؤسسة كانت تتمتع بالاستقلالية عن الإدارة العامة (البايلك)، وكانت مطالبة بدفع مساهمة شهرية تقدر بـــ (700 فرنك) لخزينة الدولة، وتغطية نفقات الفقراء، والتكفل بأجرة القاضي والعدول وبعض العلماء التابعين لبيت المال[13].

5- مؤسسة أوقاف الأندلسيين:

و هذه المؤسسة أسسها مهاجروا الأندلس الذين استقروا في المدن الساحلية و اندمجوا مع تقادم الزمن في المجتمع الجزائري،و أخذ بعضهم يسهم في الحروب البحرية ضد الإسبان،و مع شعورهم بالحاجة إلى التضامن كفئة خاصة جاءت هذه المؤسسة بتشجيع من السلطة العثمانية التي كانت تتعاطف معهم .

وترجع أولى عقود هذه المؤسسة حسب المؤرخ الفرنسي ديفوكس "Devoulx" إلى سنة 980هـــ/1572م[14]. فقد كان أغنياء الجالية الأندلسية يوقفون الأملاك على إخوانهم اللاجئين الفارين من جحيم الأندلس.

وقد تعززت مؤسسة أوقاف الأندلسيين بعدها بتأسيس مركب ثقافي وتعليمي وديني سمي بزاوية الأندلسيين، ثم تكاثرت مشاريعهم الخيرية حتى بلغت بالفرنك الذهبي 408072 في عام1837[15].

6- أوقاف الزوايا والأولياء والأشراف:

تعود أحباس هذه المؤسسات المستقلة عن بعضها إلى أضرحة الأولياء الصالحين والأشراف والمدارس التي أسسوها في حياتهم ، وتتمثل مهمة هذه الأحباس في تسديد التكاليف الجارية للمؤسسة

---

[12]-مسدور فارس،كمال منصوري،مرجع سابق.

[13]-مسدور فارس،مرجع سابق.

[14]-مسدور فارس،كمال منصوري،المرجع السابق.

[15]-المرجع نفسه.

التعليمية أو الدينية، و كانت فوائضها تعود إلى فقراء الأشراف وأوقاف بيت المال ، وقد كانت كثيرة في مختلف المدن وخاصة منها مدينة الجزائر، فكانت تقدم لها الهدايا والهبات وتحبس عليها الأملاك فتكونت بذلك لكل منها ملكية.

ثانيا : دور الوقف في نشر العلم في الجزائر خلال الحقبة العثمانية : ساهم الوقف بقسط كبير إن لم نقل أنه يرجع إليه الفضل في انتعاش الحركة العلمية في الجزائر ، فقد سخر المحسنون من كل الطبقات الاجتماعية أموالهم لخدمة العلم و نشره بين أبناء الجزائر و قاطنيه ،و يمكن أن نلمس ذلك عبر هذه المؤسسات التعليمية .

أولا: الكتاتيب:

يعتبر الكتاب أقل وحدة للتعليم الابتدائي لأنها كالمدارس الأولية يعلمون فيها مبادئ القرآن وأصول الكتابة العربية.و قد عرفت الجزائر خلال التواجد العثماني الكثير من الكتاتيب بحيث أنها كانت منتشرة في جميع الأحياء السكانية و في كثير من الأحيان تتسمى باسم ذلك الحي أو الشارع كما هو الشأن مع مكتب سوق القندقجية و مكتب الشماعين .

و يلاحظ هنا أن مثل هذه الأماكن كثيرا ماكانت تخضع لرغبة الواقفين ، بحيث أن بعضها قد يوجه لتحفيظ الصبيان القرآن الكريم و تعليمهم مبادئ القراءة و الكتابة ،و البعض الآخر يوجه لخدمة مذهب معين .

و يعتمد التعليم الابتدائي على الحفظ في الأساس و على الأخذ بيد التلميذ في إتقان الكتابة و القراءة و تعلم مبادئ الحساب و قواعد الدين و حفظ بعض المتون ، و قد ساهمت هذه الكتاتيب إلى حد كبير في تحفيظ القرآن و محو الأمية عند المقبلين عليها و هي الوظيفة التي كانت تضطلع بها في الغالب، و على أية حال فإن هذه الكتايب كانت تساهم في منح الطفل رصيدا معرفيا تساعده على شق طريقه في المجتمع .

ثانيا:الزوايا (الرباطات):

اتسم العهد العثماني في الجزائر بانتشار غير مسبوق للزوايا ، و التي ساهمت إلى حد كبير في نشر الوعي الديني و نشر التعليم بالإضافةإلى تدخل القائمين عليها في حل قضايا الناس، ناهيك عن أنها كانت تمثل دورا لعابري السبيل، ومكانا لإيواء الفقراء والمساكين و طبقا لوظيفتها فهي على ثلاثة أنواع[16]:

---

[16]-تركي رابح ،الشيخ عبد الحميد بن باديس،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ط3،1981م،ص347.

-يمكن أن تكون الزاوية محلا تلقى فيه دروس للطلبة (في مختلف مراحل التعليم) و فيها مساكن خاصة لهم فهي من هذه الناحية أشبه بالمدارس الداخلية في وقتنا الحاضر تتوفر على جميع الظروف المادية و العلمية لطلبتها كي يتفرغوا لدراستهم العلمية فقط .

-يمكن أن تكون الزاوية ملجأ للطلبة أو العلماء المغتربين يجدون فيها المأوى مجانا و ما يحتاجون إليه من الماء للشرب و الوضوء و كذلك ملجأ للفقراء و أبناء السبيل .

-قد تكون الزاوية في بعض الأحيان ضريح عالم أو رجل صالح و في سائر حالاتها يوجد بها مسجد للصلاة و الوعظ و الإرشاد و الأذكار .

و نشير في هذا الإطار أن الزوايا كانت تسمى على سابق عهدها بالرباطات إلا أن هذا المصطلح بدأ يختفي منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وحل محله مصطلح الزاوية و"إذا كانت الرابطات نشأت أول ما نشأت بالمشرق في مطلع الدولة العباسية، وهي عبارة عن ثكنات عسكرية وأمكنة لتجميع الجيوش للدفاع عن الدولة ودفع المغيرين والهاجمين عليها من النصارى، كأربطة العباسيين بثغور الشام، فإن الرباط الجزائري كان أكثر نفعا وأبعد أثرا، إذ أن مهمته لا تقتصر على الدفاع فقط،بل يزيد على ذلك بأنه معهد علمي تدرس به سائر العلوم وخاصة الدينية وهو مكتبة جامعة تضم نفائس الكتب والمخطوطات، وهو مستشفى لعلاج المرضى، ومأوي يضم الفقراء والمساكين ومن لا ملجأ لهم"[17].

و على آية حال فقد ساعد العثمانيون -خلال تواجدهم في الجزائر- "الصالحين" ببناء الزوايا والرباطات، وأنفقوا في سبيل ذلك بسخاء، فرتبوا لبعضها أوقافا خاصة وأعفوا المقربين منها من الضرائب ومنحوهم حرمة وحصانة، فالمستنجد بحماهم لا يلحقه أذى ما دام في حمى "الشيخ"[18].

و تشير الإحصاءات الرسمية لكل الزوايا والطرق الصوفية التي تنتمي إليها في الجزائر أن عددها كان كبيرا مع نهاية العهد العثماني، ونذكر على سبيل المثال أن مدينة قسنطينة وحدها كان بها زهاء 16 زاوية، ومدينة تلمسان كان بها ما يزيد عن ثلاثين زاوية، وأما بمنطقة القبائل فقد كانت من أكثر جهات البلاد كثافة من حيث عدد الزوايا إذ بلغ عددها نحو الخمسين، هذا في شمال البلاد،

---

(17)-دون مؤلف،"الزوايا في الجزائر ونشأته ا"،عن موقع: http://elhamel.net ،تاريخ الدخول :2011/2/20م .

(18)-محمد علي قاسمي الحسني،عن موقع: http://webcache.googleusercontent.com ،تاريخ الدخول :2011/2/12م .

أما جنوبها فلم تكن تخلو عشيرة منها، بل لقد كانت الزاوية ترحل أحيانا مع الراحلين مثل ما هو زاوية سيدي الشيخ، الذي اضطرته الخلافات المذهبية إلى التنقل بزاويته[19].

و يظهر الدور الايجابي للزوايا الريفية في التعليم على وجه الخصوص ،فقد كانت بالإضافة إلى وظيفتها الدينية معاهد لتعليم الشبان و تنوير العامة .و ظاهرة التعليم في الزوايا ليست خاصة بالريف ففي المدن أيضا كانت بعض الزوايا تقوم بدور ايجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته مثل الزاوية القشاشية[20] .

و من الزوايا التي لعبت دورا رئيسيا في نشر التعليم في غير العاصمة زاوية محمد التواتي ببجاية زاوية عبد الرحمن الجيلالي ، زاوية سيدي الكتاني وزاوية سيدي عبد الرحمن و غيرها كثير.

ثالثا : المدارس :

تعد المدرسة واحدة من المؤسسات التي أوجدها المجتمع من أجل المحافظة على ثقافته وتراثه، ويعرفها المختصون بأنها "وحدة اجتماعية تتكون من مدرسين وتلاميذ وعملية تربوية تشمل التعلم والتعليم[21].

و قد ساهم أفراد المجتمع في الجزائر خلال التواجد العثماني في وقف أموالهم لتعليم أبنائهم، كان نتاجها تأسيس العديد من المدارس التعليمية عبر القطر الجزائري كله حتى لا تكاد منطقة تخلو من مدرسة للتعليم "و هو ما جعل جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم و ندرة الأمية بين السكان "[22]و الأكيد أن الأوقاف كان لها دور كبير في انتشار هذه المدارس.

و من أهم المدارس نذكر مدرسة الأندلسيين و مدرسة شيخ البلاد في العاصمة[23] و يبدو أن أصل المدرستين زاوية فقد جعل الأندلسيون من الزاوية التي أسسوها كما سبق مدرسة عليا لتعليم علوم القرآن و دراسة مختلف العلوم الأخرى و كان الوقف يغطي حاجة المدرسة و هو الوقف الذي

---

[19]-المرجع نفسه.

[20]-أبو القاسم سعد الله،مرجع سابق،ص269.

[21]-مراد بوقطاية ، "مقومات التربية الحديثة في المدرسة "، مجلة العلوم الإنسانية ، بسكرة، الجزائر، ع 3، أكتوبر 2002م، ص47.

[22]-أبو القاسم سعد الله،مرجع سابق،ص274.

[23]-أبو القاسم سعد الله،مرجع سابق،ص282-283.

قلنا أنه كان تحت أشراف لجنة من أعيانهم . ومن المتوقع أن التعليم في هذه المدرسة كان على مستوى راق لأن الأندلسيين قد عرفوا بإجادة فن التدريس و حسن التربية و مراعاة التطور العقلي للتلاميذ.

أما مدرسة البلاد فهي تعود إلى مؤسسها محمد خوجة أحد كتاب قصر الباشا في أواخر القرن الثاني عشر (18م) و كان محمد خوجة يملك كثيرا من العقارات فقرر وقفها على بناء مدرسة عليا تحتوي على غرف لسكنى الطلبة ورجال العلم و على مسجد الصلوات الخمس يؤديها الطلبة و العلماء و بقية المسلمين و على مطهرة للطلبة و غيرهم و على بئر للشرب و التطهر و قد نصت الوقفية على مبالغ مالية لأستاذ المدرسة و الطلبة المقيمين فيها اشترط في الأستاذ أن يكون ماهرا في العلوم النظرية و العلمية.

و من أهم المدارس في الشرق المدرسة الكتانية و هي مدرسة تقدم تعليما راقيا و تتميز بأن لها نظاما داخليا في غاية الدقة من حيث أوقات التدريس و الحضور و شرط الإقامة .

و من أشهر المدارس في غير العواصم مدرسة الخنقة و مدرسة مازونة و تنسب مدرسة الخنقة إلى مؤسسها أحمد بن ناصر لذلك تسمى بالناصرية . وقد اشتهرت بعلوم النحو و الفقه و الحديث و كانت مقصد طلبة الزيبان و وادي سوف و الأورا س و حتى قسنطينة و عنابة ()و من خريجي مدرسة الخنقة أحمد التليلي و خليفة بن الحسين الغماري أما مدرسة مازونة فقد كانت على درجة من الأهمية في النواحي الغربية من البلاد و كان لها نظام راسخ و تقاليد متينة استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان و الأندلس و المغرب الأقصى . و هي أيضا من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني و قد اشتهرت بالخصوص في الفقه و الحديث و علم الكلام واستمرت المدرسة تشع بالمعرفة حتى بعد انتقال العاصمة الإقليمية من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران[24] .

و كان يشرف على عملية التدريس ثلة من المدرسين و العلماء . و تشير وثائق الوقف في هذا الإطار إلى تخصيص مبالغ مالية لهؤلاء و بخاصة إذا تعلق الأمر بمؤسسة التعليم و على ضرورة توفير السكن سواء للطلبة أو العلماء ممن لا مقر لهم و نذكر في هذا السياق زاوية القشاش التي نصت وقفيتها على تخصيص مال لأستاذ مكلف بتدريس الشريعة و نصت وقفية جامع عبدي باشا على صرف خمسة ريالات فضية لأستاذ ملحق بالجامع و صرف ريال لمساعدة أو مسمعه .

و عادة ما كانت المدارس تخصص للمرحلة الثانوية و العالية ،و نشير هنا إلى أن الطلبة يدرسون علوما متنوعة تصنف بين العلوم النقلية مثل التفسير والفقه و العقيدة و أصول الفقه و

---

[24]-أبو القاسم سعد الله،مرجع سابق،ص284-285.

الحديث و علومه و القرآن و علومه و غيرها من العلوم النقلية و أما العلوم العقلية فقد كانت تشمل الحساب و القواعد اللغة و علم الفلك .

و يلاحظ أن المدرس هو من يتكفل بوضع البرنامج الدراسي و في تحديد أوقات التدريس كما انه يتكفل بتحديد نوعية الكتب التي يقرأها التلميذ و المتون التي يحفظها .و أما منهج التدريس فيقوم عادة على الشرح و الإملاء ، حيث يكلف المدرس أحد التلاميذ بقراءة النص أو الجزء من الكتاب المدروس ثم يتناول المدرس ذلك بالشرح و التوضيح .

رابعا :المكتبات:

تعتبر الجزائر في هذا المجال في طليعة البلدان التي تزخر بالكتب و المخطوطات،فقد كانت مدنها مزدهرة بمختلف الكتب تأليفا و نسخا و جمعا ، يشهد لذلك الفرنسيون عند احتلالهم الجزائر،حيث أنهم كانوا مندهشين من كثرة الكتب التي وجدوها في مختلف مكتبات المدن الجزائرية ونذكر على سبيل المثال "البارون ديسلان" و "أدريان بيربروجر" و "شارل فيرو" .

و من أشهر المكتبات التي كانت في العادة ملحقة بالمساجد و المدارس و الزوايا نذكر على سبيل المثال لا الحصر: مكتبة المدرسة الكتانية بقسنطينة و مكتبة المدرسة المحمدية في معسكر و مكتبة الجامع الكبير بالجزائر العاصمة و مكتبة زاوية الشيخ التازي بوهران و مكتبة زاوية القيطنة وهي التي تثقف الأمير عبد القادر من كتبها .

وكان وقف الكتب يتم بنفس الطريقة التي تتم بها الأوقاف الأخرى فالواقف عادة ينص على أن الكتاب موقف في سبيل الله على طلبة الجامع أو الزاوية أو المدرسة التي يوجد فيها [25]،كما ينص على منع إخراج الكتب من المؤسسة الموجودة فيها و كان الواقف أيضا يضع بعد عبارات الوقف الشرعية ختمه الذي يحمل تاريخ الوقف و خطه الشخصي[26].

و كانت الكتب بهذه الخزائن الموقوفة على الطلبة و العلماء تختلف من حيث كميتها بحسب "أهمية الوقف الذي تتغذى منه و تبعا لأهمية الجامع و أمانة الوكيل و ضخامة عدد السكان في المدينة المعنية "[27] .

---

[25]-المرجع نفسه،ص298.

[26]-نفس المرجع و الصفحة.

[27]-المرجع نفسه،ص296.

و نشير في هذا الإطار أن عملية الوقف لم تكن مقصورة على فئة المتنورين من السكان و إنما كان يشترك في ذلك العامة من الناس من يجهلون محتوى الكتاب و إنما كان يقوم به هؤلاء من باب التقرب إلى الله تعالى .

و من ضمن العلوم التي كانت تتضمنها محتويات هذه الكتب الموقوفة نذكر علم التفسير والقراءات و الأحاديث و الفقه و أصوله والنحو والأدب و اللغة و الصرف و البلاغة و التاريخ والجغرافيا و كذا الفلسفة ، و أما علوم التطبيقية فنجد الكتب التي تهتم بعلم الفلك و الحساب والطب وان لم تكن بنفس درجة سابقتها من العلوم الأخرى .

و قد ساعدت هذه المكتبات على نشر الثقافة الدينية و انتعاش الحركة العلمية في أوساط المريدين المترددين على مشائخها، ويذكر "أحد التقارير أن المستوى الثقافي للجزائريين في نهاية العهد العثماني كان أفضل بكثير من مستوى الجنود الفرنسيين الذين كانوا في الجزائر أثناء حملتهم على العثمانيين بها، إذ شهد شاهد من قادة الجيش الاستعماري يومئذ أن الأمية بين جنوده بلغت (45%)، وبالمقابل كان عدد القادرين على القراءة والكتابة من الجزائريين يفوق بنسبة (55%)"[28].

في خاتمة هذه المداخلة نشير إلى أهمية الوقف و دوره في نشر العلم و كيف عم خيره جميع المؤسسات العلمية مما يؤكد مدى تأصل سمة الخيرية في نفوس أبناء الجزائر و غيرهم ليس فقط على مستوى التضامن الاجتماعي المرتبط بالمأكل و المشرب و الملبس فحسب و إنما يتعداه إلى المجال العلمي باعتباره غذاء الروح ، وهذه الأهمية التي أبرزها دور الوقف أثناء التواجد العثماني بالجزائر تجعلنا نستنفر جميع الجهود من أجل استثمار الوقف في أوجه الخير كلها و منها مجال العلم .

---

[28]-محمد علي قاسمي الحسني،مرجع سابق.

قائمة المصادر و المراجع

-مسدور فارس،كمال منصوري،" التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف: التاريخ والحاضر والمستقبل "، عن موقع :http://www.google.fr ،تاريخ الدخول: 2011/2/3م.

-أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي :ج1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط1 ،1998 م.

-مسدور فارس ،"الأوقاف الجزائرية بين الاندثار والاستثمار "، عن موقع : http://www.google.fr

-تركي رابح ،الشيخ عبد الحميد بن باديس،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر ،ط3،1981م.

-دون مؤلف،"الزوايا في الجزائر ونشأتها"،عن موقع:http://elhamel.net ،تاريخ الدخول :2011/2/20م.

-محمد علي قاسمي الحسني،عن موقع: http://webcache.googleusercontent.com ،تاريخ الدخول :2011/2/12م .

-مراد بوقطاية ، "مقومات التربية الحديثة في المدرسة "، مجلة العلوم الإنسانية ، بسكرة، الجزائر، ع3، أكتوبر 2002م.